بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْوَاقُنَا مِرْآةُ هُوِيَّتِنَا

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدى عِبَادَهُ إِلى سُبُلِ الْمَعاشِ وَيَسَّرَ، وَهَيَّأَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَسْبابِ الرِّزْقِ وَقَدَّرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ النَّفْعُ وَدَفْعُ النِّقَمِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الأَعْظَمُ، الخَاتِمُ بِرِسَالَتِهِ جَمِيعَ الرِّسَالاتِ، وَالْمُؤَيَّدُ بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ، عَلَيْهِ أَزْكَى الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الهُدَاةِ الثِّقَاتِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِمْ إِلَى يَوْمِ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

مِنْ مَظَاهِرِ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يَسَّرَ لَهُمْ سُبُلَ الرِّزْقِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَ المَعَاشِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَوْدَعَهُ فِي الأَسْوَاقِ مِنْ مَنَافِعَ، وَقَضَاءٍ لِلْحَاجَاتِ، وَتَيْسِيرٍ لِلْمُعَامَلاتِ. وَالسُّوقُ فِي أَصْلِهِ مَقْصِدٌ نَبِيلٌ، وَمَجَالٌ وَاسِعٌ لِتَحْصِيلِ الكَسْبِ الحَلالِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى تَبَادُلِ المَنَافِعِ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2]. وَقَدْ تَطَوَّرَ مَفْهُومُ السُّوقِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ، فَلَمْ يَعُدْ مَوْضِعًا لِتَبَادُلِ البَضَائِعِ فَحَسْبُ، بَلْ أَصْبَحَ مَيْدَانًا عُمْرَانِيًّا وَثَقَافِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا، يَضُمُّ مُجَمَّعَاتٍ تِجَارِيَّةً، وَمَرَاكِزَ خِدْمِيَّةً، وَمَرَافِقَ تَرْفِيهِيَّةً، بَلِ امْتَدَّ أَيْضًا إِلَى الفَضَاءِ الرَّقْمِيِّ لِيَكُونَ فِي مُتَنَاوَلِ اليَدِ. وَمَعَ هَذَا التَّوَسُّعِ، فَإِنَّ مَسْؤُولِيَّةَ المُسْلِمِ تَتَّسِعُ أَيْضًا، فَهُوَ لا يَدْخُلُ السُّوقَ كَوْنَهُ مُشْتَرِيًا أَوْ بَائِعًا فَقَطْ، بَلْ يَدْخُلُ بِرِسَالَةٍ يَحْمِلُهَا، وَقِيَمٍ يُمَثِّلُهَا، وَخُلُقٍ يَظْهَرُ بِهِ؛ فَالسُّوقُ مِنْ أَشَدِّ المَوَاطِنِ الَّتِي تَبْرُزُ فِيهَا الأَخْلاقُ، وَتَظْهَرُ فِيهَا حَقِيقَةُ الشَّخْصِيَّةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى))، فَالسَّمَاحَةُ خُلُقٌ لا يَظْهَرُ إِلَّا فِي مَيْدَانِ التَّعَامُلِ، وَلا يُخْتَبَرُ صِدْقُهُ إِلَّا حَيْثُ تَتَزَاحَمُ المَصَالِحُ وَتَتَعَقَّدُ الحَاجَاتُ. وَالتَّاجِرُ المُسْلِمُ يَنشُرُ مَعَ بَيعِهِ قِيَمًا فِي صِدْقِهِ، وَأَمَانَتِهِ، وَرِفْقِهِ، وَوَفَائِهِ بِالعُهُودِ، وَسَعَةِ

(1) المزمل: ٢٠
(2) البقرة: ١٩٨

صَدْرِهِ، وَلِينِهِ فِي المُعَامَلَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ))، وَمِنْ هُنَا، فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ دَلائِلِ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ السُّوقُ عِنْدَ المُسْلِمِ مَوْضِعَ أَجْرٍ، لا مَوْضِعَ وِزْرٍ، يُرَاقِبُ اللَّهَ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَيَضْبِطُ لِسَانَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَيَكُفُّ أَذَاهُ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيَتَجَنَّبُ الغِشَّ وَالخِدَاعَ وَالمُمَاطَلَةَ فِي أَدَاءِ الحُقُوقِ. بَلْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهُ ﷺ حَثَّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فِي السُّوقِ تَذْكِيرًا لِلإِنْسَانِ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَرْشَدَ ﷺ بِهَذَا الذِّكْرِ الشَّامِلِ: ((لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).

عِبَادَ اللهِ:

لَقَدْ نَظَرَ الإِسْلامُ إِلَى السُّوقِ عَلَى أَنَّهُ مَيْدَانٌ تَطْبِيقِيٌّ لِلإِيمَانِ، وَسَاحَةٌ تَظْهَرُ فِيهَا مَعَادِنُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، لا يَقْتَصِرُ عَلَى التَّكَسُّبِ وَالتَّرَبُّحِ فَقَطْ؛ فَهُوَ مَجَالٌ تَتَجَلَّى فِيهِ مُرَاقَبَةُ الضَّمِيرِ، وَصِدْقُ التَّعَامُلِ، وَنَقَاءُ النِّيَّةِ. وَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِدُخُولِ السُّوقِ بِنِيَّةٍ طَيِّبَةٍ، مُتَقَيِّدًا بِآدَابِ الإِسْلامِ، صَارَ سَعْيُهُ عِبَادَةً، وَتَعَامُلُهُ صَدَقَةً، وَسُلُوكُهُ دَعْوَةً صَامِتَةً تُعْلِي مِنْ شَأْنِ دِينِهِ. وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَجِبُ التَّوَاصِي بِهِ اليَوْمَ: أَنْ يَكُونَ حُضُورُنَا فِي الأَسْوَاقِ مَبْنِيًّا عَلَى قَوَاعِدِ العَدْلِ وَالشَّفَافِيَّةِ، مُتَحَرِّيًا لِلْحَلالِ، حَرِيصًا على الوَفَاءِ بِالالتِزَامَاتِ، مُتَوَرِّعًا عَنِ الشُّبُهَاتِ، حَذِرًا مِنَ الغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ، مُنْصَرِفًا عَنْ كُلِّ مَا يَخْدِشُ الأَمَانَةَ أَوْ يَمْتَهِنُ القِيَمَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ))، وَقَالَ أَيْضًا: ((فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ))، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ السُّوقُ مَيْدَانًا يُصَانُ فِيهِ الحَيَاءُ، وَيُغَضُّ فِيهِ البَصَرُ، وَيُحْتَرَمُ فِيهِ الذَّوْقُ العَامُّ، تَطْبِيقًا لأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[1]، ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾[2]، وَهَكَذَا فَأَخْلاقُنَا صِيَانَةٌ لِلْقُلُوبِ، وَحِرَاسَةٌ لِلْمُجْتَمَعِ، وَبِنَاءٌ لِلثِّقَةِ، وَتَرْسِيخٌ لِقِيَمِ الاحْتِرَامِ وَالعَفَافِ. وَمَنِ اسْتَشْعَرَ أَنَّهُ فِي السُّوقِ يُؤَدِّي رِسَالَةً، لا مُجَرَّدَ مُعَامَلَةٍ، ارْتَقَى بِنِيَّتِهِ، وَسَمَتْ مُعَامَلاتُهُ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ فِي خُطُوَاتِهِ أَجْرًا، وَفِي صِدْقِهِ أَثَرًا، وَفِي حَيَائِهِ عِزًّا: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[3].

(1) النور: ٣٠
(2) النور: ٣١
(3) البقرة: ١١٠

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ وَكَرَّمَهُ، وَأَمَرَهُ بِالسَّعْيِ فِي مَنَاكِبِ الأَرْضِ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَجَعَلَ التَّرَاحُمَ وَالعَدْلَ وَالصِّدْقَ سَبِيلًا إِلى الْفَلَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ، وَيَهْدِيَ الخَلْقَ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ أَنْ تَتَجَلَّى أَخْلاقُ المُسْلِمِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يَطَؤُهُ، وَمِنْ أَوْسَعِ تِلْكَ المَوَاطِنِ وَأَشَدِّهَا أَثَرًا فِي المُجْتَمَعِ السُّوقُ، إِنَّهُ مَيْدَانٌ تَتَقَاطَعُ فِيهِ القِيَمُ، وَتَتَجَلَّى فِيهِ الهُوِيَّةُ. فَالسُّوقُ الَّذِي يُدَارُ بِرُوحِ المَسْؤُولِيَّةِ، وَتُبْنَى فِيهِ العَلاقَاتُ عَلَى الصِّدْقِ وَالعَدْلِ، وَيُرَاعَى فِيهِ النِّظَامُ وَالذَّوْقُ، هُوَ جُزْءٌ مِنَ المَشْهَدِ الحَضَارِيِّ لِلأُمَّةِ، وَشَاهِدٌ حَيٌّ عَلَى الهُوِيَّةِ وَالقِيَمِ السَّامِيَةِ. وَقَدْ عَظَّمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَانَةَ التَّاجِرِ الأَمِينِ، فَقَالَ: ((التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ))، وَهِيَ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ لا تُنَالُ بِكَثْرَةِ المَالِ، بَلْ بِخُلُقٍ كَرِيمٍ، وَضَمِيرٍ يَقِظٍ، وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ. وَالسُّوقُ –أَيُّهَا الأَحِبَّةُ– التِزَامٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ البَائِعِ وَالمُشْتَرِي، وَالمُنَظِّمِ وَالمُرْتَادِ، فَكُلُّ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ فِيهِ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ نِظَامٍ يُرَاعَى فِيهِ عِبَادَةٌ، وَكُلُّ احْتِرَامٍ يُمَارَسُ فِيهِ دَعْوَةٌ صَامِتَةٌ إِلَى هَذَا الدِّينِ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى مَنْ جَمَعَ بَيْنَ السَّعْيِ لِلدُّنْيَا وَاسْتِحْضَارِ الآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[1]، فَهَؤُلاءِ فِي السُّوقِ قُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِاللَّهِ، وَأَخْلاقُهُمْ نَاطِقَةٌ بِالإِيمَانِ، وَأَعْمَالُهُمْ تَسِيرُ عَلَى خُطَى المُرْسَلِينَ. فَلْنُحْسِنْ تَمْثِيلَ الإِسْلامِ فِي أَسْوَاقِنَا، وَلْنَجْعَلْ مِنْهَا وَاجِهَةً تُشَرِّفُنَا، لا تَشِينُنَا، فَحُسْنُ المُعَامَلَةِ فِيهَا يَفْتَحُ القُلُوبَ، وَالنِّظَامُ فِيهَا يَبْنِي الثِّقَةَ، وَالاحْتِرَامُ فِيهَا يُرَبِّي الذَّوْقَ، وَالنَّظَافَةُ فِيهَا تُجَسِّدُ رُقِيَّ الحَضَارَةِ. فَلْيَكُنْ لِكُلٍّ مِنَّا دَوْرٌ فِي صِيَاغَةِ هَذَا المَشْهَدِ بِسُلُوكٍ، أَوْ نَصِيحَةٍ، أَوْ قُدْوَةٍ، أَوْ دُعَاءٍ: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[2]، و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[3].

(1) النور: ٣٧
(2) البقرة: ٨٣

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كلِّ مكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وَأَلْسِنةً صَادِقةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا، وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا، وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(1) الأحزاب 56